Coptology

عِيدُ الغِطَاسِ

إطلالة على الكلمة والروح القدس

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٠٩

www.coptology.org

حسناً جداً أن احتفظت اللغة العربية القبطية باسم "الغطاس" كاسم لعيد معمودية ربنا يسوع المسيح، ذلك الاسم الذي يعود إلى اللغة المصرية القديمة، ثم الكلمة القبطية ⲱⲙⲥ والتي تعني التغطيس في الماء.

والزائر لكنائس مصر القديمة، كنيسة أبو سيفين، والأنبا شنودة، وغيرها يجد عند الدخول إلى الكنيسة، المغطس وهو المكان الذي كان يتم فيه طقس تقديس مياه عيد معمودية الرب قبل أن ينحصر هذا الطقس في "اللقان".

عيد الغطاس حسب الكتب الليتورجية هو عيد الظهور الإلهي، ولا فرق بين كلمة "ثيئوفانيا" وكلمة "أبيفانيا"، فالمعنى واحد وظاهر، وهو استعلان الثالوث وتأسيس "سر المعمودية" واستعلان "سر المسحة".

ولكي ندرك أهمية هذا العيد علينا أن نؤكد على ما يلي:

أولاً: العلاقة الوثيقة - التي سبقت معمودية الرب - بين استعلان الله، والمياه في تاريخ الخلاص.

ثانياً: معمودية الرب يسوع نفسه في الأردن – وكلمة "الأردن" هي أسم من الفعل العبراني "ي ر د"، أي ينزل أو يتواضع، وهنا المتواضِع الحقيقي هو الرب يسوع المسيح (العلامة اوريجينوس – شرح انجيل يوحنا).

ثالثاً: مسحة الرب يسوع لكي يصير "المسيح".

رابعاً: شركتنا نحن في مسحة الرب يسوع، والأهمية الخاصة لاسم "مسيحي"، أي الممسوح بالروح القدس حسب شرح الآباء.

ما سبق العيد من أحداث هامة في تاريخ الخلاص

"كان روح الرب يرف على وجه المياه" (راجع تك ١: ٢)، وقد عبَّر مار إفـــرآم السرياني الملقب بقيثارة الروح القدس عن هذه الحقيقة بقوله:

"كان مثل الدجاجة التي تحتضن
تدفئ المياه بنار اللاهوت،
سبق هذا خلق آدم وحواء ...

ولَّما جاء عبور البحر الأحمر، العبور إلى الحرية، كان قد سبقه دم الحمل وقتل الأبكار، وصار عبور البحر الأحمر مثالاً لعبورنا نحن في مياه الأردن، المياه التي صارت – كما يقول مار افرام – "رحم الميلاد الجديد".

"لبس يسوع المياه كثوب،
سطع من المياه نور الحياة الجديدة".

ولَّما عبر الشعبُ الأردن، ودخل تابوت عهد الرب مياه الأردن، توقفت المياه. لكن لَّما جاء من هو الإله المتجسد، الذي صار جسده تابوت العهد الجديد الذي فيـــه "قسط المن"(١) و"عصا هارون" لم يكن يحمل لوحي شريعة العهد القديم، بل شـــريعة العهد الجديد (ارميا ٣١: ٣١) حيث يحل روح الرب، الروح القدس لكي يعطي شـــريعة الحياة (رو ٨: ١ – ٣). وهذا هو السبب الذي جعل العلامة أوريجينوس يقول إن أليشـــع نال نصيبين من روح إيليا؛ لأنه عبر الأردن مرتين (شرح إنجيل يوحنا).

هنا يبدو المسيح يسوع وكأنه يلخِّص التاريخ القديم، تاريخ الخلاص، لكـــي يقدم "عصارته" إلينا.

---

(١) راجع التسبحة السنوية "قسط المن" هو الإشارة الإلهية إلى المن السماوي، الإفخارستيا – ثيئوطوكية الأحد.

جاء يسوع لكي يعتمد من يوحنا.

وقد سبق يوحنا الرب في أمرين:

أولاً: حُبل به بقوة الروح القدس مثل اسحق؛ لأن أليصابات كانت عاقراً. ولذلك، مثل اسحق الذي هو بداية عهد الله مع إبراهيم بالبركة، صار يوحنا بداية العهد الجديد بمجيء يسوع؛ لكي ننال بركة إبراهيم الحقيقية وميراث السماء، أي الروح القدس.

ثانياً: جاء يوحنا بمعمودية التوبة.

ولكن التوبة حسب الإنجيل هي التحول الفكري μετανοια الداخلي، أي "رد قلوب الأبناء والآباء أيضاً" (لوقا ١: ١٧). فهو بداية "التحول"، وتغيير الاتجاه من الحرف إلى الروح، ومن الاغتسال بالماء إلى الاغتسال بالروح القدس نفسه، ولذلك يقول معلمنا القديس أثناسيوس عن معمودية الرب يسوع:

> **"إذن فإن كان يُقدِّس ذاته من أجلنا. وهو يفعل هذا لأنه قد صار إنساناً، فمن الواضح جداً أن نزول الروح عليه في الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا. وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في مسحته، ولكي يقال عنَّا "ألستم تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم"** (١كو ٣: ١٦) **فحينما أغتسل الرب في الأردن كإنسان، كنا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته.**
>
> **وحينما اقتبل الروح، كنا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السبب، فهو ليس كهارون. أو داود أو الباقين – قد مُسِح بالزيت هكذا – بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه – أي "بزيت الابتهاج" – الذي فُسِّر أنه يعنى الروح – قائلاً بالنبي "روح الرب على لأنه مسحني"** (أش ٦١: ١). **كما قال الرسول أيضاً**

"كيف مسحه الله بالروح القدس" (أع ١٠: ٣٨). متى قيلت عنه هذه الأشياء – إلاَّ عندما صـــار في الجسد واعتمد في الأردن. "ونزل عليه الروح"؟ (مت ٣: ١٦). وحقاً يقول الرب لتلاميذه إن "الروح سيأخذ ممـــا لي" (ي ١٤: ١٦). و"أنا أرسله" (يو ١٦: ٧). و "أقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢). إلاَّ أنه في الواقع هذا الذي يعطي للآخرين ككلمة وبهاء الآب، يقال الآن أنه يتقدس، وهذا من حيث أنه قد صار إنساناً، والذي يتقدس هو جسده ذاته.

إذن فمن ذلك قد بدأنا نحن الحصول على المسحة والختم، مثلما يقول يوحنا "أنتم لكم مسحة من القدوس" (١يو ٢: ٢٠). والرســـول يقول "أنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣). ومن ثم، فإن هذه الأقوال هي بسببنا ومن أجلنا. فأي تقدم في الارتقاء، وأي فضيلة أو عموماً أي أجر عمل للرب، يتضح من هذا؟

فلو أنه لم يكن إلهاً، ثم صار إلهاً، ولو كـــان قد رقِّيَ إلى ملك وهو لم يكن ملكاً، فإنه يكون لقولكم بعض الظل من الاحتمال.

أما إن كان هو الله، ويكون "عرش ملكه أبـــدي" فإلى أي مـــدى يمكن أن يرتقى الله؟. أو ماذا ينقص هذا الذي هو جالس على عرش الآب؟ وكما قـــال الرب نفسه، إن كان الروح هو روحه، والروح أخذ منه، وهو نفسه أرسل الروح (أنظر يو ١٦: ١٤، يو ١٦: ٧)، إذن، فلا يكون اللوغوس باعتباره اللوغوس والحـــكمة هو الذي يُمسح من الروح، الذي يعطيه هو ذاته، بل الجسد الذي قد أتخذه، هـــو الذي يُمسح فيه ومنه، وذلك لكي يصير التقديس الصائر إلى الرب كإنســـان، يصير (هذا التقديس) إلى جميع البشر به. لأنه يقول: "إن الروح لا يتكلم مـــن نفسه" (أنظر يو ١٦: ١٣). بل اللوغوس هو الذي يعطي هذا (الروح) للمستحقين. فإن هذا يشبه ما سبق من قول، لأنه كما كتب الرسول "الذي إذ كان في صورة الله، ولم يحسب خلسة

أن يكون مساوياً لله، ولكنه أخلى نفسه أخذاً صورة عبد" (فيلبى ٢: ٦ – ٧)**. وبالمثل يرنم داود للرب. إنه إله وملك أبدي، مرسل إلينا ومتخذاً جسدنا الذي هـو مائت. لأن هذا هو المقصود في المزمور بالقول "مر وعود وقرفة تفوح من ثيابك"** (مز ٤٥: ٨) **ويتضح نفس الشيء مما فعله نيقوديموس والنسوة اللائي مـع مريم حينما جـاء نيقوديموس حاملاً "مزيج مر وعود نحو مئة رطل"** (يو ١٩: ٣٩)**. وكانت النسوة قد أعددن الحنوط لجسد الرب** (لو ٢٤: ١)**.** (ضد الأريوسيين – الطبعة الثالثة – المقالة الأولى: ٤٧، ص ١١٥ - ١١٧).

هكذا بدأ التحول، تغيير الاتجاه. الميلاد بقوة غير بيولوجيـة تبـدأ بيوحنـا، ولكنها تقف عند يوحنا؛ لأن يسوع وحده هو القادر على أن يجعل ميلاده من والدة الإله ميلاداً لنا؛ إذ قد حول أصل الجنس البشري إلى أُقنومه الإلهي، فأسس بـذلك في أُقنومه البداية الجديدة الحقيقية للميلاد الجديد.

لا يجب أن ننسى أن ميلاد الرب يسوع كان له ثلاثة حقائق لا يمكن فصلها بالمرة إلاَّ عند الذين ينكرون إلوهية الرب.

١– ولادة أزلية من جوهر الآب تحمل إلينا نحن الترابيين هبة التبني.

٢– ولادة زمانية من العذراء تؤسِّس ولأول مرة الإنسان الجديد الذي مـن الأرض – من العذراء" الحقل الذي لم يزرعه أو يفلحه أحد"، ولكنه من السماء؛ لأن المولود مولودٌ بدون زرع بشري، بل بالروح القدس، فجمع في نفسه، أي في كيانـه "السماء، أي اللاهوت، والأرض، أي البشر"، ووحدهما في كيانه الإلهـي المتجسـد بولادة زمانية حقيقية، يحمل فيها اللحم والدم والعظام "ملء اللاهوت" (كولوسـي ٢: ٩) لكي يصبح يسوع هو آدم الجديد.

٣– ميلاداً يلد الآخرين من بني آدم، ليس ميلاداً بيولوجياً – و لم يقل أحد بالمرة أننا نولد من العذراء في بيت لحم، وإنما الذي وُلِدَ هو الإنسانية الجديدة التي بدأت بيسوع، فهو الرأس ونحن الأعضاء أي أعضاء جسده.

وهكذا دخل الملكوت دنيا الإنسان الترابي الأسير للزمان والمكان والموت، للبداية والنهاية؛ لكي يحرر الإنسان من أصله الترابي الأول أي آدم، وفي هذا يقول القديس أثناسيوس:

"وإن كان الله قد أرسل ابنه مولواً من امرأة، فإن هذا الأمر لا يسبب لنا عاراً، بل على العكس مجداً ونعمةً عظمى؛ لأنه قد صار إنساناً لكي يؤلهنا في ذاته. وقد صار جسداً من امرأة وولد من عذراء كي ينقل إلى نفسه جنسنا (نحن البشر) الذين ضللنا ولكي نصبح بذلك جنساً مقدساً، ونصير شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤) ... إذن، فالكلمة أخذ جسداً لأجل تحرير كل البشر، ولإقامة الجميع من بين الأموات، ولكي يصنع فداءً من الخطايا" (الرسالة إلى أدلفيوس – سلسلة نصوص آبائية رقم ٤٧ – يناير ٢٠٠٠ – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، ص ٢٧).

كما يقول معلمنا القديس أثناسيوس:

"فمن الذي لا يعجب بهذا الكلام؟ أو من هو الذي لا يوافق أن هذا الأمر هو إلهي بالحقيقة؟ لأنه لو كانت أعمال إلوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، لَما كان الإنسان قد تألّه، وأيضاً لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسب للكلمة، لَما كان الإنسان قد تحرر منها تماماً، وحتى لو أنها كانت قد توقفت لفترة قليلة كما قلت سابقاً لظلت الخطية، وظلَّ الفساد باقيان في الإنسان، كما كان الحال مع الجنس البشرى قبل التجسد. ولهذا، فهناك أمثلة لكثيرين قد تقدسوا وتطهروا من كل

خطية مثل أرميا الذي تقدس مـــن الرحم (أنظر أر ١: ٥ ويوحنـــا الذي وهو لا يزال جنيناً في البطن ارتكض بابتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله (أنظر لو ١: ٤٤). ومع ذلك فقد "ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعـــدى آدم" (رو ٥: ١٤)، وهكذا ظل البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرضين للأوجاع الخاصة بطبيعتهم. أما الآن فإذ قد صار الكلمة إنساناً وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تعد تلك الأمور تمسك بالجسد بسبب الكلمة الذي قد جاء في الجسد، فقد انهزمت الأوجاع بواسطته. ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبق النـــاس بعد خطاةً وأمواتاً بحسب أوجاعهم، بل قد قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين وأقوياء دائماً. ومـــن هنا أيضاً فبينما وُلِدَ الجسد من مريم والـــدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه قد ولد، وهو الذي يعطى بداية الوجود للكائنات الأخرى لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب إلى تراب، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمل إلى السموات بواسطته. لذلك فإنه بطريقة مماثلة قد نقل إلى نفسه أوجاع الجسد الأخرى لكي يكون لنا شركة في الحياة الأبدية — ليس كبشر فيما بعد – بل أيضاً لأننا قد صرنا خاصين بالكلمة.

لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطلت بسبب ذاك الذي هو كائن فينا، والذي قد صار لعنة لأجلنا. وكما أننا نحن جميعاً من الأرض وفى آدم نموت هكذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح فإننا في المسيح نحيا جميعاً. فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً بل يصير إلهياً كالكلمة، وذلك بسبب كلمة الله الذي لأجلنا صار جسداً" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣ —

نصوص آبائية رقم ١١٣ الطبعة الثانية – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة – ٢٠٠٧، ص ٦٤: ٦٦).

وهكذا ينـزع التجسد عن الزمان قوة "الرتابة" أي "التتابع" حيث يختفي الحاضر في جوف الماضي ويظل المستقبل مجهولاً. فقد جاء التجسد بملء الزمان (غلا ٤: ٤) إذ وصل الزمان إلى غايته، وبعد أن كان الزمان عاملاً هاماً في ترتيب الأعياد والأزمنة والسبوت ومواسم قد صارت كلها ظلالاً (كولوسي ٢: ١٦ وما بعدها) لم يعد الزمان يرتِّب شيئاً، فقد امتلأت الإنسانية في الابن المتجسد من "ملء اللاهوت"، دون أن يكون الزمان وسيطاً، إذ لم يرتب الزمان هذا الإتحاد الفريد الذي لا مثيل له، وتوقفت بداية الزمان ونهايته عن وضع خط سير الموت، فالمسيح يسوع هو البداية وهو النهاية، ولذلك لم يختفِ الحاضر في جوف الماضي، بل توقف الماضي أمام تجسد ملء اللاهوت عن أن يكون "الماضي"؛ لأن يسوع "هو هو أمس واليوم والى الأبد" (عب ١٣: ٨)، ليس فقط لأنه فوق الزمان، بل لأنه جاء إلينا دون أن يكون هذا المجيء زمانياً، بل كحدثٍ يبدأ ولا ينتهي، إذ صار يوم الرب هو يوم الملكوت، وحسب العبارة الليتورجية القديمة جداً "اليوم الذي لا غروب له"؛ لأن "شمس البر" يسوع المسيح قد "أشرق جسدياً من العذراء" وأنار على الجالسين في كورة الموت وظلاله.

المستقبل أيضاً يطل علينا في يسوع رغم ما نعانيه من فوضى وقلاقل وسفك دم وحروب ومخاوف، فقد رفع مصير الإنسان من الزمان إلى الأبدية، فصارت الأبدية متجسدة ليس كفكرة بل في "الله العظيم الأبدي" الذي "هدم الموت" وصالح أبعاد الزمان في استعلانه الإلهي.

مسحة يسوع وشركتنا في مسحة الرب

يسوع هو الاسم الشخصي للرب، لكن "المسيح" هو الاسم لوظيفة عرفها العهد القديم، لأن الملك هو "مسيح الرب"، ولذلك يقول المزمور "لا تمسوا مسحائي" (مز ١٠٥: ١٥).

عندما جاء الرب ليعتمد في الأردن حقق الرب أربعة مميزات لا يمكن فصلها، ولا يمكن أن يقوم بها نبي أو ملك أو إنسان مهما كان، بل الابن المتجسد ربنا يسوع المسيح.

١- رغم أنه وُلِدَ من الروح القدس، وأسس الروح القدس بداية دخول البكر إلى العالم (عب ١: ٦)، إلاَّ أن هذه البداية رغم أهميتها القصوى عائدة بالدرجة الأولى على حقيقة التجسد، أي أنها تعطي لنا الأساس الجديد في آدم الجديد أو الأخير (١كو ١٥: ٤٥). لكن المسحة تفتح لنا مجالات الشركة في الروح القدس، ولذلك فإن استعلان الإنجيل ليس مجرد تحية رسولية، فهذا ما تردده الشيع الإنجيلية في لغة الوعظ المعاصر الفقير، ولكن استعلان الإنجيل أي بشارة الحياة هو:

"محبة الله الآب ونعمة الرب يسوع المسيح وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم" (راجع ٢كو ١٣: ١٤).

هكذا تبدأ الأنافورا، أي تقديم الجسد والدم في سر الإفخارستيا. وهي هنا متوقفة على "شركة الروح القدس" الذي أشركنا في مسحة يسوع، فقد "كنا نحن الذين مُسحنا فيه (القديس أثناسيوس). هذه الشِركة هي التي تجعلنا نصف جسد الرب ودمه بأنهما "نعمة الروح القدس"[١] وأن نصف التناول بأنه "امتلاء من الروح القدس".

---

(١) من أجل خطاياي ... لا تمنع عن شعبك نعمة روحك القدوس.

٢– لقد مُسح يسوع وصار بذلك المسيح، وصرنا نحن نحمل اسم المســـيح. وأي مراجعة للأصل اليوناني لكتابات الآباء توضح ذلك على أكمل وجـــه، وهنـــا نكتفي بعبارة القديس كيرلس الأورشليمي في شرح الأسرار للموعوظين التي يقـــول فيها بكل وضوح: "صرتم مسحاء"

1. ***The Meaning of the Baptismal Unction***

Εἰς Χριστὸν βεβαπτισμένοι καὶ Χριστὸν ἐνδυσάμενοι σύμμορφοι γεγόνατε τοῦ υἱοῦ τοῦ θεοῦ. προορίσας γὰρ ἡμᾶς ὁ θεὸς εἰς υἱοθεσίαν, συμμόρφους ἐποίησε τοῦ σώματος τῆς δόξης τοῦ Χριστοῦ· μέτοχοι οὖν τοῦ Χριστοῦ γενόμενοι χριστοὶ εἰκότως καλεῖσθε, καὶ περὶ ὑμῶν ἔλεγεν ὁ θεός· μὴ ἅψασθε τῶν χριστῶν μου. Χριστοὶ δὲ γεγόνατε τοῦ ἁγίου πνεύματος τὸ ἀντίτυπον δεξάμενοι, καὶ πάντα εἰκονικῶς ἐφ' ὑμῶν γεγένηται, ἐπειδὴ εἰκόνες ἐστὲ Χριστοῦ.

"لقد اعتمدتم في المسيح، وقد لبستم المسيح (غلا ٣: ٢٧)
وصرتم مماثلين لابن الله، لأن الله سبق فعيننا للتبني كأبناء (أفسس ١: ٥)
وصرتم شركاء في صورة جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١) ودعيتم مسحاء
χριστοι لأن الله قال عنكم لا تمسوا مسحائي (مزمور ١٠٥: ١٥)
والآن قد صرتم "مسحاء" بنوالكم مسحة الروح القدس.

هذا الاسم "مسيحي" اختاره الله الآب لنا بسبب قبولنا الرب يسوع. وهـــو الاسم الوحيد الذي يجب أن نحمله، فأنا أولاً مسيحي، ويجيء بعد ذلـــك الانتمـــاء الكنسي الذي يؤهل لحقيقة هذا الاسم والذي يعطي "المسحة"، "أمَّا أنتم فلكم مسحة من القدوس" (١يوحنا ٢: ٢٠). هذه المسحة تجعلنا مسحاء وتجعل كل مســـيحي ينطـــق باسم "المسيح" إنما يعترف صراحةً وعلناً بأنه انضم إلى المسيح الرب وأنه "مُسِـــحَ" في

يسوع كما يقول الرسول بولس: "ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطانا عربون الروح في قلوبنا" (٢كو ١: ٢١).

٣- من المسحة نأخذ أيضاً شركتنا في يسوع المسيح نفسه؛ لأننا لا نقدر أن نعترف بيسوع رباً إلاَّ بالروح القدس (١كو ١٢: ٣) ولا نعرف الأسرار إلاَّ باستعلان الروح القدس "لكي يظهرها قدساً لقديسيك" (صلاة استدعاء الروح القدس)، ولذلك يحل علينا روح يسوع أي الروح القدس، لكي نعرف يسوع ونشترك في ميلاده ومعموديته وموته وقيامته؛ لأن هذه الشركة هي أساسات الخليقة الجديدة.

لا يشركنا في المسيح يسوع إلاَّ الروح القدس، وهو موضوع يحتاج إلى دراسة مطولة بسبب الهجوم الدائم على الروح القدس في التراث الشعبي الفولكلوري المعاصر. لكن حسب "التدبير" ولد يسوع بالروح القدس من العذراء "، ومُسح بالروح القدس لكي يعلن البشارة" (لوقا ٤: ١٨)، وصُلب بالروح القدس (عب ٩: ١٣)، وقام بالروح القدس (رو ٨: ١١)، وحملته سحابة المجد الإلهي "الشاكيناه" (أع ١: ٩)، وسيأتي على نفس السحابة في ظهوره الثاني. فهل يمكن فصل الروح القدس عن الابن؟ بكل يقين لا. لكن جوهر التعليم ليس هو في وحدة عمل الروح القدس والابن، بل في أساسات الخلاص نفسها.

+ الولادة في بيت لحم هي بداية ولادة الخليقة الجديدة من الماء والروح.

+ المسحة هي شركة هذه الخليقة في قوة وعمل واستعلانات الروح القدس، بل خدمة الإنجيل التي تجعل الخدام "شركاءِ الروح القدس" (عب ٦: ٤).

+ الموت مع يسوع في المعمودية، والصلب معه لكي يُصلب العالم لنا في المسيح (غلا ٢: ٢٠)، وهكذا الروح الذي أقام يسوع، هو نفسه الساكن فينا والذي يعطي لنا عربون القيامة ويؤهلنا لكي نرى هذه القيامة هنا رغم رباطات الجسد (رو ٨: ١١).

٤– لقد مُسِحَ يسوع لكي يكون المسيح، ونحن نُمسح فيه وبواسطته لكـــي ننال ذات المسحة (القديس أثناسيوس – رسائل إلى سرابيون ١: ٦، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥ – ٤: ٧).

ولذلك يعجز القلم والفكر عن تحديد حجم هذه المأساة الحقيقية التي حدثت عندنا وصارت لها منابر تدافع عنها في داخل الكنيسة، فقد تحولت مسحتنا الأبديـــة بالروح القدس إلى "مواهب"، وتم فصل الأقنوم الثالث عن الحياة المسيحية، في حين أن المواهب كلها خاصة بالزمان الحاضر، فلا وجود أبدي لها أي الشفاء – الألســـنة – النبوات ... الخ. ولكنها هي قوة الروح القدس تعمل فينا حسب مسرة الله من أجـــل الزمان الحاضر، ولذلك قال الرسول بولس: أمَّا النبوات فستبطُل والألسنة فســـتنتهي والعلم فسيبطُل (١كو ١٣: ٨). أمَّا انسكاب محبة الله بـــالروح القـــدس (رو ٥: ٥) فهـــو انسكابٌ أبديٌ دائم لا ينتهي.

خطورة فصل الرب يسوع عن عمل الروح القدس

حسب التسليم الرسولي – الآبائي، الله الآب يعمل كل شيء فينا بواسطة ابنه يسوع المسيح وبالروح القدس (القديس بولس ٢كو ١: ٢١ – القديس أثناسيوس إلى سرابيون ١: ١٤، ٢٠، ٢٩)، وبالتالي لا يمكن فهم أو عيش حياتنا في المسيح إذا فصلنا الرب يسوع عـــن عمل الروح القدس، لذلك:

١– يجب أن نلتفت بشدة إلى أننا إذا حصرنا كل ما لدينا من ألفاظ تعبِّر عن الخلاص أو الفداء أو الكفارة .. الخ في الكتاب المقدس بعهديه، في علاقة الآب بالابن مع استبعاد الروح القدس – ربما عن جهل أو عناد أو تحت ضغوط الخوف والعداوة – فإننا نفقد عقيدة الثالوث التي باتت من العقائد الغامضة عند جيل الأقباط المعاصـــر، وفقدان عقيدة الواحد في الثالوث يفقدنا رؤية الوحدة والتعدد، أي وحـــدة الجـــوهر

وتثليث الأقانيم على المستوى الإلهي، وهو ما ينعكس على رؤيتنا لوحدة الجسد الواحد وتعدد أفراد هذا الجسد على المستوى الكنسي.

٢- إذا فصلنا الرب يسوع عن عمل الروح القدس، نفقد الوسيط والشفيع الحقيقي الذي يقودنا للمسيح، وهو الأقنوم الثالث، وتصبح علاقتنا بالرب علاقة عقلية نفسانية بلا أساس إلهي، وعند ذلك يصبح الأساس الذي نستند عليه قابل للاهتزاز، وهذا هو ما يفسر موجات الارتداد المعاصرة تحت ضغط الاحتياجات المادية.

٣- كذلك فإننا نفقد الحضور الإلهي في الليتورجية، وهو الحضور الذي يؤهِّلنا فيه الروح القدس للصلاة وقبول كل السرائر ابتداءً من المعمودية حتى صلاة الجناز التي تُختتم بصلاة التحليل الذي نطلب فيه حَل الميت من كل خطاياه العقلية والإرادية وغيرها.

+

+

أيها الثالوث القدوس،

يا من أعلنت ذاتك في معمودية الابن الوحيد،

أظهر ذاتك لنا بقوة وثبتنا بعمل روحك القدوس،

لكي نكون أمناء لك حتى النفس الأخير.

+

أضواء من أشعار قيثارة الروح القدس
افرآم السرياني

–١–

انظروا، النار والروح في رحم التي ولدتك
انظروا، النار والروح عند نهر الأردن حيث اعتمدت
النار والروح في جرن معموديتنا
وفي الخبز والكأس النار والروح. (نشيد عن الإيمان ١٠: ١).

–٢–

لقد لُفَّ في أقماط حقيرة،
ولكنهم قدموا له هدايا.
لقد لبس ثياب الشباب؛
لكي يعطي لهم معونة.
لبس مياه المعمودية؛
سطع منها نور.
لبس الكتان في ثياب الموت
والانتصار أُعلن منهما
بتواضعه جاء مجدنا
مبارك الذي وحَّد مجده بالآمه (نشيد على تجسد الرب ٢٣: ١).

-٣-

النهر الذي اعتمد فيه
حبل به مرة ثانية بشكل رمزي
رطوبة مياه رحم الأردن
حبلت به في نقاء
ولدته في البتولية
فصعد من المياه للمجد
في رحم المياه النقي
يمكننا أن نرى بنت آدم
تلك التي حبلت به في النقاء
وولدته بالبتولية
لأنها لم تعرف رجلاً. (أناشيد عن الكنيسة ٣٦: ١ – ٥).